تصنيف اللغات الإنسانية

وجدت اللغة البشرية مع آدم (عليه السلام) واتخاذه خليفة لله تعالى في الأرض، ومع نمو البشرية وتزايدها وتفرقها في أنحاء الأرض الى جماعات، تطورت اللغة وتنوعت، وتميزت كل مجموعة بشرية بلغة مستقلة عن لغات المجموعات الأخرى. ولقد لاحظ القدماء هذا التنوع اللغوي، وكانت كل جماعة ترى لغتها هي الأفضل وما عداها أدنى منه.

ومن أشهر تصنيفات اللغات هو تصنيف الألماني ماكس مولر، وتقوم نظريته هذه على أساس أن اللغات التي تتكون منها فصيلة لغوية واحدة، يشترط فيها ثلاثة أسس هي:

١- القرابة اللغوية بين اللغات، بمعنى أن تتفق أو تتشابه في جذور المفردات وقواعد البنية والتركيب وما إلى ذلك.

٢- القرابة العصرية بين المتكلمين، وذلك يعني أن تتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة، ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة.

٣- ارتباط المتكلمين تاريخياً واجتماعياً وجغرافياً، بمعنى أن تربط بينها روابط تاريخية واجتماعية وجغرافية.

وعلى هذه الأسس قامت نظرية (ماكس مولر) فجمعت اللغات الإنسانية في ثلاث فصائل هي: فصيلة اللغات الهندية الأوروبية، وفصيلة اللغات الحامية السامية، وفصيلة اللغات الطورانية، وهذه النظرية هي أفضل النظريات وأشهرها في تصنيف اللغات.

أ- فصلية اللغات الهندية الأوروبية:

ولغات هذه الفصيلة أكثر اللغات الإنسانية انتشاراً، والشعوب الناطقة بها جليلة الأثر في الحضارة الإنسانية الحديثة، ومن العسير تحديد موطنها الأصلي فمنهم من ذهب إلى نشأتها في آسيا الوسطي بمنطقة التركمانستان، ومن قائل بنشأتها في المناطق الروسية في أوروبا الشرقية، ومن زعم بأنها في مناطق بحر البلطيق، وقيل: هضبة إيران.

وتشتمل هذه الفصيلة على ثمان من طوائف اللغات، هي:

١- اللغات الآرية، بفرعيها الهندي والإيراني.

٢- اللغات اليونانية القديمة والحديثة.

٣- اللغات الإيطالية وأهم فروعها: اللاتينية التي تشعبت منها الفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والبرتغالية، والرومانية.

٤- اللغات الجرمانية، وأهمها شعبتان، هما:

شعبة اللغات الجرمانية الغربية، وفيها: الإنجليزية السكسونية، والإنجليزية الحديثة، والهولندية، والألمانية.

وشعبة اللغات الجرمانية الشمالية، وهي لغات الدانمرك، والسويد، والنرويج.

٥- اللغات السُلافية، هي شعبتان:

شعبة اللغات الصقلبية، ومنها: الروسية، والتشيكية، والبولونية، والبلغارية الحديثة.

وشعبة اللغات البلطيقية، ومنها: الليتوانية، والبروسية القديمة.

٦- اللغات الأرمنية.

٧- اللغات الألبانية.

٨- اللغات الكلتية، التي كان ينطق بها شعوب الكلت، وقد حلت محلها الآن اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، وإن بقيت ظواهر منها في لهجات إيرلندا، ومنطقة البريتون غربي فرنسا ولغات هذه الفصيلة – كما هو ظاهر – تحتل مساحة كبيرة من العالم، فنجدها في أوروبا، والأميركيتين واستراليا، وجنوب إفريقيا، وقسم كبير من آسيا.

ويرجع الفضل في انتشار هذه الفصيلة إلى عوامل كثيرة أهمها الغزو والاستعمار، كما حدث من غزو الآريين للهند، وغزو الأوربيين للأميركيتين واستراليا، وجنوب إفريقيا.

وتمتاز هذه الفصيلة بكثرة شعبها، واتساع هوة الخلاف بين أفرادها، فقد انقسمت على الطوائف الثماني السابق ذكرها، وانقسمت كل طائفة من هذه الطوائف إلى شُعب، وكل شعبة إلى عدد كبير من اللغات، وسلكت كل لغة من هذه اللغات في ارتقائها سبيلاً يختلف عن سبيل غيرها، فكثرت وجوه الخلاف بينها، وتضاءلت وجوه الشبه، حتى أن بعضها يبدو غريباً عن بعض، ولا تظهر صلة قرابة به إلا بعد تأمل عميق.

واللغة الهندية الأوروبية الأم لغة مفقودة مندثرة، بحسب أحدث الآراء، ويرجع سبب ذلك إلى أن الأرومة الأصلية لهذه الكتلة الكبيرة من الشعوب عاشت وماتت، وتفرقت ذريتها في الأرض قبل أن تعرف الكتابة.

ب- الفصيلة الحامية السامية:

وتقسم هذه الفصيلة على مجموعتين من اللغات، هي:

١- مجموعة اللغات السامية أو الجزرية أو الجزروحبشية، وتضم هذه المجموعة اللغات السامية الشمالية وتشمل اللغات الأكادية، أو الآشورية البابلية، واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الآرامية، كما تضم هذه المجموعة اللغات السامية الجنوبية والتي تشمل العربية، واليمنية القديمة، واللغات الحبشية السامية.

٢- مجموعة اللغات الحامية، وتضم ثلاث مجموعات، هي:

اللغات المصرية، وتشمل المصرية القديمة والقبطية.

اللغات الليبية أو البربرية، وهي لغات السكان الأصليين لشمال إفريقيا (ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب).

اللغات الكوشيتية، وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيا، وتشمل: اللغات الصومالية، ولغات الجالا، والبدجا، ودنقلة وغيرها.

ومما سبق يتضح لنا أن المنطقة التي تشغلها الفصيلة الحامية السامية أصغر كثيراً من المنطقة التي تشغلها الفصيلة الهندية الأوروبية، فلا يعدو ما تشغله بلاد العرب، وشمال إفريقيا، وجزءاً من شرقي إفريقيا، ولكنها تمتاز عن الفصيلة الهندية والأوربية بأن منطقتها متماسكة الأجزاء، لا يتخللها أي عنصر أجنبي، ويتألف من الناطقين بها مجموعة شديدة التجانس، تتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة، وتتفق في أصول الحياة، ونوع الحضارة، والنظم الاجتماعية.

وبالنظر إلى هذه الفصيلة بمجموعتيها السامية والحامية، نجد أن مجموعة اللغات السامية يجمع بينها كثير من الصفات المشتركة المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتنظيم، أما مجموعة اللغات الحامية فلا يوجد بين طوائفها الثلاث (المصرية، والبربرية، والكوشيتية) من وجوه الشبه والقرابة اللغوية أكثر مما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية، فوصفها مجموعة متميزة هو مجرد اصطلاح لا يتفق في شيء من حقائق الأمور.

ج- فصيلة اللغات الطورانية:

كانت نظرية تصنيف اللغات بحسب القرابة اللغوية (التي نحن بصدد الحديث عنها) تعتمد على تصنيف اللغات إلى فصيلتين، هما: الفصيلة الهندية الأوروبية، والفصيلة الحامية السامية، ولكن ماكس مولر، وبونسن وجدا أن مجموعة من اللغات الآسيوية والأوروبية لا تدخل تحت أيٍّ من الفصيلتين السابقتين، وذلك كاللغات التركية، والتركمانية، والمغولية، والمنشورية، والفينية وغيرها، لذلك عمدا إلى جمع تلك اللغات في فصيلة واحدة تحت اسم الفصيلة الطورانية.

فالفصيلة الطورانية – إذن – ليست فصيلة بالمعنى الصحيح لهذا الاصطلاح، أي لا تنطبق عليها الأسس الثلاثة التي تقوم عليها النظرية، وإنما هي لغات لا يؤلف بينها سوى صفة سلبية، هي عدم دخولها في إحدى الفصيلتين السابقتين.

ولما كان هذا القسم (الفصيلة الطورانية) غير قائم على أساس، وغير شامل لما بقي من لغات العالم، فقد عدل المحدثون من علماء اللغة عن استعمال مصطلح (اللغات الطورانية)

وعمدوا إلى ما بقي من لغات العالم خارجاً عن الفصيلتين السابقتين، فقسموه على فصائل، يجمع بين أفراد كل فصيلة منها صلات تشابه وقرابة لغوية، ليتسق التقسيم إلى فصائل مع الأسس التي قامت عليها النظرية.

ومن الاجتهادات التي برزت في هذا الشأن، ما قامت به (جمعية علم اللغة بباريس) في موسوعتها (لغات العالم)، إذ قسمت – على الأسس آنفة الذكر– جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين السابقتين إلى تسع عشرة فصيلة، وهي:

١- فصيلة اللغات اليابانية.

٢- فصيلة اللغات الكورية.

٣- لغة الأينو.

٤- فصيلة اللغات الصينية – التبتية.

٥- فصيلة اللغات الاسترالية الآسيوية (التي يتكلم بها القسم الأسيوي الجنوبي المنحدر إلى أستراليا).

٦- فصيلة اللغات الدرافيدية (لغات بعض الشعوب التي كانت تقطن جنوب بلاد الهند، قبل أن يهاجر إليها الآريون).

٧،٨- فصيلة اللغات القوقازية (الشمالية والوسطى) ولا يطلق هذا الاسم في اصطلاح علماء اللغة على جميع اللغات القوقازية الشمالية والوسطى، وإنما على ما كان منها غير سامي، ولا هندي أوربي، ولا أورالي – ألتائي.

٩- فصيلة اللغات الآسيوية القديمة (غير السامية والهندية الأوربية، كالسومرية).

١٠- فصيلة اللغات التركية، والمغولية، والمنشورية.

١١- فصيلة اللغات الفينية، والأجرية، والساموييدية.

١٢- لغة الباسك أو الأسكارا، ويتكلم بها الباسكيون، وهو شعب يقطن منطقة جبال البرانس الغربية في العدوتين الأسبانية والفرنسية.

١٣- اللغات الهيبيربورية، وهي لغات سيبريا وما إليها.

١٤- اللغات الملايوية – البولينيزية، ويتكلم بها طائفة كبيرة من جزر المحيطين الهندي والهادي.

١٥- لغات سكان استراليا الأصليين.

١٦- اللغات الأميركية ومنها لغة المايا والناحواتل، ويتكلم بها سكان أميركا الأصليون (الهنود الحمر)، وكان يبلغ عددهم حينما كشفت أميركا نحو أربعين مليوناً، ثم أخذ عددهم يتناقص شيئاً فشيئاً.

١٧- لغات السودان وغانة.

١٨- اللغات البنطوية، ويتكلم بها سكان القسم الجنوبي من إفريقيا.

١٩- لغات البوشيمان، والهوتنتوت والنيجريين، وهي من القبائل الإفريقية الجنوبية.

وبهذا التقسيم الأخير فقد أصبحت الفصائل اللغوية إحدى وعشرين فصيلة، أهمها الأولى والثانية، أما الفصائل التسع عشرة الأخيرة فهي ممثلة للقسم البدائي، أو الذي وقف نموه من لغات بني الإنسان.